

الدور القيمي للحوار الأسري في ظلّ مخاطر الاتصال الافتراضي المعولم على ضوء القرآن الكريم

الدكتور: عبد المنعم نعيّمي

كلية الحقوق- جامعة الجزائر 1

Abstract:

This study aimed Search moral role of dialogue within the family; and by showing conversational models posed by the Koran, with an indication of the possibility of strengthening this role, especially in light of the risks of globalized communication (globalization of contact).

In other words Astvhammep: What is the value of dialogue within the family and its impact on the promotion of moral indoctrination through the Koran in light of the risks of globalized communication?

:Key words

Domestic dialogue, moral role, the default connection, globalized, globalization of media and communication.

مقدمة:

للقرآن الكريم منهج قيميّ فريد في تلقين قيم التربية الصحيحة داخل الأسرة؛ إذ يُقرّر أساليب عديدة لإصلاح الأسرة والارتقاء بأدائها القيمي، ويضع طرائق قيمة عديدة بدء بالتعريف بالقيم نفسها التي يتعيّن على الآباء معرفتها، وانتهاؤها بسبل تلقينها للأبناء وتثبيتها في روعهم حتى تنعقد عليها قلوبهم وتظهر في سلوكهم الإيجابي، ومن خلال هذا المنهج يمكننا تمتين الأسرة ضدّ كل ما من شأنه أن يسلك بأفرادها مسالك الفساد والانحراف ويهوي بها في مهاوي الهلاك والاعتساف.

ويأتي الحوار الأسري كأحد الأساليب القرآنية لتحقيق الدور القيبي للأسرة وتكريس أدوارها التربوية التي تضطلع بها، وأعني بالحوار الأسري هنا: "التفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة عن طريق المناقشة، والحديث عن كل ما يتعلق بشؤون الأسرة من أهداف ومقومات وعقبات، ويتم وضع حلول لها، وذلك بتبادل الأفكار والآراء الجماعية حول محاور عدة، مما يؤدي إلى خلق الألفة والتواصل"¹.

من المهم أن يكون الجو داخل الأسرة مُفعماً بالتفاعل الاتصالي والحواري الذي يرتفع بالأسرة عن الغوغاء التي لا طائل منها ولا فائدة قيمة تُرتجى من ورائها، ويبتعد بها عن العزلة التي تجعل من أفرادها عزين متفرقين، خاصة في ظلّ واقع الملبيات والمشتهيات التي تجعل كل واحد منهم غارقاً في مُشكلاته واهتماماته، التي تبقى مناقشتها بالنسبة لهم بعيدة عن خيار ومسلك التواصل الجماعي مع بقية أفراد الأسرة التي جعلها الله تعالى لُحمة واحدة.

هذا الوضع يمكنه أن يتسبب في حصول شرخ وشدخ في بناء الأسرة، فيُصيب متانتها وتماسكها في مقتل قد لا تسترد بسببه عافيتها أبداً. وهنا يشدّد مطلب تفعيل الحوار الأسري بين أفراد الأسرة خاصة في ظلّ تزايد التأثيرات السلبية لعملة الإعلام والاتصال ومخاطرها على القيم المرعية في الشريعة الإسلامية.

ونحن في زمن عملة الاتصال والإعلام - المشار إليها - وتحدياتها الراهنة التي جعلت من عالم الإنترنت مهرباً للتواصل والتحاوّر الافتراضي من جهة الأبناء تحديداً، والاستغناء به عن جو التواصل والتحاوّر الأسري الواقعي، صار من المهم تعزيز قيمة التواصل وتغليب لغة الحوار بين أفراد الأسرة، تحديداً بين القائمين على عملية التلقين القيبي (الوالدين) وبين المستهدفين من العملية (الأبناء).

إن عملة الاتصالية (وتُعدّ الإنترنت أهم مظاهرها) تطرح رهانات قيمية غاية في الخطورة على قيم أسرتنا التي صارت على المحكّ، فعندما يحلّ هذا العالم - الذي تختفي فيه القيود وتخبّت فيه حميمية العلاقات الأسرية - محلّ الأسرة في احتضان الأبناء واستيعابهم؛ يُصبح من الضروري تعجيل فتح باب الحوار على مصراعيه مع الأبناء والتواصل الإيجابي والجادّ معهم، والحرص من خلاله على مُطالعة اتجاهاتهم وتوجّهاتهم، ومشاركة همومهم وآلامهم وآمالهم وأحلامهم.

في هذا الإطار يضع القرآن الكريم نماذج حوارية قيمة غاية في الأهمية يتلقف منها المرثي (والدين) فن التواصل الأسري مع الأبناء، ومن خلاله يتدربون على تلقيهم القيم الصحيحة التي لا تعوضها العوامة الاتصالية ببرجتها، وقد أبان الواقع عن خطورة الاتصال المعلوم والتجاوز الافتراضي في حال تغلبه على دور الأسرة في ترقية التأثير القيمي للحواريين أفرادها.

تأسيسا على ما تقدم، فإن هذا المقال يستهدف دراسة نماذج قرآنية للحوار الأسري، وإظهار دوره كقيمة تربوية (دوره القيمي) على الأسرة، خاصة مع تزايد مخاطر الاتصال المعلوم (عوامة الاتصال) الذي صار يتهدد تماسك الأسرة من خلال وهن العلاقة التواصلية والتجاوزية التي حلّ محلها الاتصال الافتراضي مع ما يطرحه من إشكالات قيمة وتربوية على الأبناء تحديدا.

بعبارة أخرى يستهدف هذا المقال الإجابة على التساؤل: ما هو الدور القيمي للحوار الأسري من خلال النماذج الحوارية التي يطرحها القرآن الكريم ؟، وكيف يمكن تعزيز هذا الدور في ظلّ مخاطر الاتصال المعلوم (عوامة الاتصال) ؟

المطلب الأول- نماذج من الحوار الأسري في القرآن الكريم:

وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولا- حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام:

ورد هذا الحوار في سياق الآيات (99 – 110) من سورة الصافات، من قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَمِّدِينَ﴾ إلى قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

الشاهد في هذه الآيات الذي يثبت به الحوار الأسري ويكون محلا للدراسة والبحث قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

هي آية واحدة (الآية 102) تضمنت جملتين حواريتين سؤال من الوالد المحب لابنه ﴿يَا بُنَيَّ﴾ والذي سعى لتنفيذ أمر الله تعالى، وجواب السؤال من الابن الصالح البارّ بوالده ﴿يَا أَبَتِ﴾ الذي تركه - امثالاً لأمر الله تعالى - سنوات بأرض لا ماء فيها ولا زرع مع والدته ليس لها غير إيمانها بأن لها رباً رحيماً لا يعزب عن رحمته أحدٌ: ليجد إبراهيمُ ولده إسماعيلَ عليهما السلام عند لقائه به قد شبَّ وقوي عوده.

ثانيا- حوار نوح عليه السلام مع ابنه:

ورد هذا الحوار في سياق الآيات (42 - 49) من سورة هود، من قول الله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الشاهد في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾. (الآيتين 42 - 43)

ثالثا- حوار يعقوب مع يوسف عليهما السلام وبقيّة بنيه:

ورد هذا الحوار في سياق الآيات (4 - 18) من سورة يوسف، من قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

تضمنت هذه الآتيّ الكريمات حوارين: الأول: حوار يوسف عليه السلام مع أبيه يعقوب يُخبره في أدبٍ ولباقةٍ بما رآه في منامه من سجود الكواكب والشمس والقمر له ثم تأويل يعقوب عليه السلام لها؛ ومحلّ هذا الحوار الآيات (4 - 6) من قوله جلّ وعلا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والثاني: حوار يعقوب مع بنيه الذين التمسوا منه أن يسمح لهم بأخذ يوسف عليه السلام معهم إلى المرعى يلهو ويلعب ويتلهى برعي الغنم؛ ثم ذكّر حجتهم لأبيهم

في فقد يوسف عليه السلام الذي أكله الذئب، ومحلّ هذا الحوار الآيات (7 - 18): ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

رابعا- حوار لقمان وابنه:

هو حوارٌ قيّمٍ مانعٌ ونافعٌ وفريدٌ لم يقع في القرآن الكريم مثله بين والد صالح مُتمكّنٍ في المجال القيمي والتربوي والإصلاحي النابع من الحكمة التي أوتىها والتي يُصيب بها مواضعها ومظاهرها بفضل من الله تعالى وكرمه، وولدٍ مُطيعٍ يُحسن الاستماع والإنصات لتوجيهات والده الذي يرجو له الخير ويأمله فيه؛ مشهدٌ لحوارٍ داخل أسرة مؤمنة أرادته القرآن الكريم ليكون نموذجا يحتذى به في تقرير أهمية الحوار الأسري بين القائم والمشرف على العملية التربوية (الأبوين) والمستهدفين بها (الأبناء)، ومرتعا خصبا وميدانا ثريا للمشتغلين في مجال التربية والمهتمين بجانبها القيمي.

"ومع أن مشهد المحاورّة الأسرية بين الوالد لقمان الحكيم وابنه لا يبدو من ظاهرها أن الابن كان محاورا لأبيه، بقدر ما يبدو متأذبا مُربّي يُحسن الاستماع والإنصات، فهو بحق كان مُصغيا ومُستمعا جيدا، وفي المقابل كان فيه الوالد متكلمّا محنكا، يُحسن الكلام وتخير مضامينه ومواضعه. وأسلوبه في توجيه الكلام لابنه ينم عن دراية بأصول التربية وأسلوبها الأمثل، إلا أنه في كل الأحوال هو مشهد يشير إلى عدّة نقاط"² تمثل المحاور القيميّة الكبرى لهذه المحاورّة.

المطلب الثاني- دور الحوار الأسري في القرآن الكريم في تعزيز القيم داخل الأسرة:

استناد إلى النماذج الحوارية المذكورة آنفا؛ نأتي في هذا المطلب على ذكر أهم القيم المستخلصة منها، والتي تؤكد دور الحوار في تعزيز القيم داخل الأسرة أو الدور القيمي للحوار الأسري.

أولاً- شخصية المربي وأهميتها في ترسيخ القيم المأمولة والمطلوبة من عملية الحوار الأسري:

لا تخلُ الحوارات القرآنية المذكورة من جوانب قيمية وملامح تربوية، تُظهر أنّ لشخصية القائم بها والمُشرف عليها مدخلٌ في نجاح الحوار داخل الأسرة وعامل مهم لتعزيز دوره القيبي، ولذلك وجدنا أن من يضطلع بهذه المهمة يتعين فيه أن يكون من أهل القدوة والأسوة كالأنبياء والصالحين ومن نهج نهجهم وسلك مسلكهم، وأن يستجمع شرائطها وأوصافها فيما يأمر به وينهى عنه، ويُتقن الأسلوب الصحيح للحوار القيبي الناجح، مثل أسلوب التدرج الذي تخيّر من خلاله لقمان الحكيم تلقين القيم بما يتناسب ومواقعها³.

ثانياً- أهمية الحكمة في الحوار الأسري القيبي:

حتى يكون الحوار داخل الأسرة قيماً؛ يتعين لزماً على المحاور في ميدان الأسرة أن يكون حكيماً فيما يُحاور وفيمن يحاوره عملاً بقوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (سورة النحل، الآية 125). وعن الحكمة قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁴، وقد رُزِقَ لقمانُ فكان أهلاً ليُدير حواراً أسرياً قيماً بنجاح، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ وعن معنى الحكمة هنا قيل هي: "الفقه في الإسلام"⁵، وقيل في معناها: "الفهم والعلم والتعبير"⁶، وقال مجاهد وغيره: "الحكمة: الصواب"⁷، وفي قول آخر عنه: "القرآن"⁸، وفي قول آخر عنه أيضاً: "الأمانة"⁹.

ثالثاً- التزام الصبر:

الصبر قيمة دينية واجتماعية وخلقية غاية في الأهمية، من المهم استحضارها في عملية الحوار إن من جانب المتكلم أو من جانب المستمع؛ حتى تتحقق أهدافه القيمية التي أمر بها القرآن الكريم، فهذا سيدنا نوح يصبر على عصيان ولده وعقوقه، ويُحاوره مشفقاً وصابراً عليه، حريصاً على ألا يهلك مع الهالكين.

أيضا سيدنا إبراهيم عليه السلام رَسَخَ قيمة الصبر في صورة من صور البلاء العظيم التي خَصَّ الله تعالى بها نبيه إبراهيم عليه السلام رفعا لشأنه وإجلالا لقدره، فكانت لبنينا ولغيره من أنبياء الله تعالى وأتباعهم شرعة ومنهاجا وسنة باقية إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها (الذبح لله تعالى).

فقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾؛ أي "فإن أمر الله تعالى لا بد من تنفيذه"¹⁰، وفيه التسليم من الوالد لأمر الله تعالى الذي تهيأ لذبح ابنه، ومن جهة الابن فيه الصبر والاحتساب كما صرّحت الآية: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. فحقيقة الصبر هنا أنه وقع من الوالد إبراهيم والولد إسماعيل على نبينا وعليهما أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

أيضا لنا في صبر سيدنا يوسف عليه السلام العبرة والدرس، فقد صبر على حسد إخوته، وما أفضى إليه من ضربهم وجرحهم، ومحاولة قتله، ورميه في الجبّ العميق، ثم بيعهم إيّاه لقافلة التجارة بثمن بخس¹¹، ثم استرقاقه في مصر، ومراودة امرأة العزيز له الذي انتهى بتلفيق تهمة انتهت به أسيرا محبوسا مع المساجين في سجنٍ من سجون فرعون مصر.

كذلك لكم أن تتخيّلوا وتتصوّروا ما تكبّده يعقوب عليه السلام (وغيره من الرسل والأنبياء) من مشقة وتجشّمه من صبر وجلد في سبيل تبليغ وظيفته الرسالية في دعوة بنيه وأهله وسائر قومه إلى سبيل الهدى والرشاد، وقد ختم عليه السلام حياته الرسالية بأهم قيمة يتعيّن أن نحيا ونموت عليها هي: قيمة التوحيد الخالص لله تعالى من صور الشرك والكفر؛ هي الوصية التي أوصى بها يعقوب عليه السلام بنيه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (سورة البقرة، الآية 133).

رابعا- تخيّر الأسلوب الأمثل في الحوار الأسري القيمي:

من الأسف أن نجد آباء غلاظا شدادا يلتمسون تلقين القيم لأبنائهم بحوارات سلبية لا تلقى التجاوب والتفاعل من الأبناء وهذا أمر طبيعي؛ لأنها تقع منهم بغير أسلوبها الأمثل، يُزبدون ويصرخون في وجوه الأبناء، مع قبيح القول والفعل،

يُخاطبونهم بأقبح الألقاب التي تزول معها الجبال ولا تُبقي في قلوب الأبناء حبا لأبائهم، ما يضرهم لو خاطب أحدهم ابنه: "يا بني" كما جرى على لسان أنبياء الله تعالى وعبد الصالح لقمان المذكورين في الحوارات القيمية السابقة؛ "و(بني) تصغير (ابن) مضافا إلى ياء المتكلم، وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يُجعل كالصغير في كونه محلّ الرحمة والشفقة"¹²، أو لو خاطب ابنه بالقول: "يا عزيزي"، "يا حبيبي"، "يا قرّة عيني"، "يا صغيري"...، وما يجري مجرى الكلمة الطيبة التي لا يخفى مفعولها العجيب (حتى لا أقول السحري) في تحقيق تقبل القيمة من المستهدف بها، وتُسهم في تقويم سلوكه وتجوّده وتحسينه والارتقاء به عن كل سلوك مشين.

خامسا- التدرج في تلقين القيم:

وهو عاملٌ مهمّ لنجاح الحوار القيمي داخل الأسرة؛ فحتى يكون للحوار الأسري أثره في ترسيخ القيم لدى المحاور المتلقّي المستهدف بتلقين القيم؛ من المهم أن يسلك معه المحاور مسلك التدرج كما فعل لقمان في مواظبه¹³؛ حيث تدرج في حوارهِ مع ابنه من القيمة العقدية (الإعتقادية أو الإيمانية) التي لا يصلح شأننا ولا يستقيم حالنا بدونها، وانتهاء بالقيمة الخلقية، مروراً بالقيمة الإجتماعية المعاملاتية والقيمة العبادية.

إن التدرج التربوي الذي سلكه لقمان في حوارهِ القيمي مع ابنه؛ يُوضح أهمية إتقان وسائل التواصل حتى ينجح الحوار ويُؤتي أكله، وأن نجاح ذلك كله مرتبط بإلمام القائم بالحوار الأسري ملماً بأصوله التربوية. قال الدكتور سعد رياض: "تحتاج العملية التربوية إلى وسائل عدة للاتصال. فلا تربية ولا تعليم من غير حوار، ولا يكون الحوار ناجحاً إلا إذا كان قائماً على علم تربوي، وفهم لطبيعة من يُحاور، وما هي قدراته؟، ولذلك يحتاج الحوار الناجح إلى مزيج من الخبرة والعلم والمعرفة..."¹⁴.

المطلب الثالث- وسائل تعزيز الدور القيمي للحوار داخل الأسرة في ظلّ مخاطر الاتصال الافتراضي المعولم.

تعزيزا للحوار الأسري القيمي، وتدعيما لتماسك الأسرة وتمتين العلاقات بين أفرادها، حتى يتسنى لها مواجهة التأثيرات السلبية للعولمة الاتصالية (الإنترنت أهم تجلياتها وأشكالها)، نذكر جانبا من الوسائل التي يتطلبها ذلك:

أولا- المعاملة بالحنان الأبوي:

أعني بها اهتمام الوالدين (الأُم والأب) بجانب العاطفة عند معاملة الأبناء، فتكون مجالستهم ومخاطبتهم ومحاورتهم لهم مفعمة بمشاعر الرفق الفعلي (السلوكي) نحو: اللمسة والتربتيد باليد والضم إلى الصدر والمسح على الرأس والقبلة والابتسامة، والرفق اللفظي (اللغوي) نحو: الهمسة والكلمة الطيبة والمزحة، خاصة في المرحلة الحرجة التي يُسمونها المراهقة وما يُصاحبها من تغيّرات فسيولوجية وسيكولوجية.

وقد رأينا كيف ترقّق أنبياء الله إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بابنهما، وخاطبهما بحنان الأبوة (يا بني) فكان سببا في برّهما من ابنهما الذين خاطباهما بأدب البنوة (يا أبتى)، كذلك فعل نوح عليه السلام مع ابنه العاصي والعاق لكن الله تعالى أهلكه مع المهلكين وهو من المعذبين غدا يوم القيامة¹⁵. وهذا الأدب التربوي والأسلوب القيمي الرفيع هو ما التزمه أيضا لقمان الحكيم مع ابنه، وهو أدبٌ وأسلوبٌ له تأثيره الإيجابي في مواجهة خطر الاتصال السلبي على الأبناء الذي يُتيح العالم الافتراضي المعولم.

ثانيا- تعزيز مبدأ الثقة:

هو عامل مهم في إنجاح الحوار الأسري؛ فإذا انعدمت الثقة بين الوالدين والأبناء اتخذ الأبناء رفقاء سوء، التمسوا الثقة فيهم، يُخبرونهم بآلامهم ويُطلعونهم على آمالهم، وربما تسبب ذلك في هتك الأستار وكشف الأسرار على صفحات الإنترنت؛ الأمر الذي يفتح باب شر عظيم وحصول ضرر جسيم على حرمة الأعراض وأسرار الدور والبيوتات، وقد يُعرّض الأبناء إلى الابتزاز من قبل أناسٍ لا

دين لهم ولا أخلاق، وهذا - للأسف - مُشاهدٌ كثيرًا، ويُوقعهم في مُشكلاتٍ يصعب عليهم التحرّر منها؛ ولهذا وجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حتّ وحضّ على الرفق في الأمر جميعه تعزيرًا لثقة الأبناء في آبائهم، وقد تقدم ذكر طرف منه.

ثالثا- مراقبة الإنترنت:

من المهم أن تكون الإنترنت داخل البيت مُراقبةً حتى يتسنى للآباء الإطلاع على ما يقوم به أبنائهم، ولا داعي لأن نعتبر ذلك تعديا على الخصوصية التي قد تتسبب في انحراف سلوكيات الأبناء وتلقيمهم قيما دخيلة على ديننا وعاداتنا وثقافتنا، مع الإقرار بصعوبة مراقبتهم داخل عالم الإنترنت، خاصة مع وجود كثير من البرامج التي تُعطّل أنظمة المراقبة الآلية لهذا العالم الافتراضي، وأيضا إمكانية أن يلج الأبناء عالم الإنترنت في أمكنة أخرى بعيدا عن أعين الآباء ومراقبتهم: كـنوادى (مقاهي) الإنترنت، أو مع استعمال أجهزة الاتصال الحديثة (الهواتف واللوحات الرقمية...) المزودة بخدمة الإنترنت الشخصية.

رابعا- الإنترنت بالمشاركة:

بمعنى مشاركة الآباء أبنائهم بعض النشاطات الذهنية والترفيهية والعلمية المتاحة عن طريق الإنترنت، هذه المشاركة التي يُمكنها تعزيز ما ذكرناه من الثقة بين الأبناء والآباء، مع التسليم أيضا بصعوبة تحقيق مشاركة الآباء لأبنائهم في فضاء الإنترنت خاصة في ظلّ وجود الهواتف واللوحات الرقمية (متعددة الوسائط)...وغيرها التي يُمكن من خلالها أن يتواصل الأبناء مع عالم الإنترنت الافتراضي بمفردهم في خلواتهم وجُلّواتهم دون مشاركةٍ أبويةٍ.

خامسا- المعرفة الإعلامية والاتصالية من جهة الآباء:

من الخطأ البين أن لا يكون الآباء مُتحكّمين في تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي تسمح لهم بمراقبة الأبناء، وأيضا الاستفادة من خدماتها في معالجة سلوكياتهم السلبية وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلاتهم القيمية، كذاك من المعيب أن نجد الآباء اليوم يقبعون في ظلامية الأمية الإعلامية والاتصالية التي تحرمهم من الاستفادة من الجانب القيمي الإيجابي لتكنولوجيا الاتصال (الإنترنت

المتاحة بوسائط متعددة)، واستثمار هذا الجانب في تعزيز الأواصر داخل الأسرة دون تغليب استخدام هذه التكنولوجيا على حساب الحوار وما يتطلبه من مشاعر وأحاسيس نفتقدها في عالم الإنترنت.

سادسا- الوعي الإيجابي:

يسمح بالتعريف بسلبيات العولمة في مجال الإعلام والاتصال فضلا عن إيجابياتها، كما يُحسّس بمخاطر الإنترنت على المركز القيمي للأفراد داخل الأسرة، وما قد يتسبب الإدمان عليها من تفریط في التواصل الأسري وأهمية استشعار قيمته في تعزيز متانتها وتماسكها. وحصول هذا الوعي له مطالب عديدة منها: الأنمذجة أي وجود الأنموذج القيمي محلّ الأسوة والقُدوة داخل الأسرة كما يوضحه العنصر الموالي.

سابعا- الأنموذج القيمي:

يقول الشاعر: وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفَتَيَانِ مِنَّا --- على ما كَانَ عَوْدُهُ أَبُوه.

إن الأبوان هما أول أنموذج يحتك به الأبناء وتُبصره أعينهم ويتواصلون معه بحواسهم؛ فيتعين عليهم أن يكونوا لهم القدوة القيمية الإيجابية والأسوة الحسنة المطلوبة والمأمولة منهم لتكون لأبنائهم سلوكا ومسلكا، على حدّ قول الشاعر: إِذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بِالْدَفِّ ضَارِبٌ --- فَشَيْمَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ الرِّقْصُ

فإذا كان الآباء محاورون جيدون لأبنائهم يستميلونهم بجميل كلامهم وحسن أسلوبهم، ويستثيرون فيهم قيمة التعلّق بالجوّ العاطفي لأسرهم، ويكونون لهم نماذج قيمية يُحتذى بها في تعزيز دفع الأسرة الواحدة عن طريق الحوار على اختلاف مستوياته وملامحه (بالكلمة أو الإشارة أو الكتابة...); فإن عالم الإنترنت لا يُمكنه عزلهم عن التواصل مع جميع أفراد الأسرة والتفاعل معهم عن طريق الحوار الذي يُعبّر عن خلاله كل فرد من أفراد الأسرة عن رأيه ووجهة نظر، ويُفضي بهومومهم وغمومهم، ويكشف عن آماله وأحلامه وآلامه؛ إفتداء بوالديهم.

ثامنا- تعزيز وظيفة التقوى:

أو ما يُسمَّها البعض: "الرقابة الذاتية" أو "رقابة الضمير". بالنسبة لي أرى تسميتها: "وظيفة التقوى"¹⁶ استنادا إلى النصوص الشرعية الدالة عليها؛ من ذلك مثلا: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»¹⁷ ، في رواية زاد: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»¹⁸ .

وعلى ذكر وظيفة التقوى فإنها عامل مهم لنجاح الرقابة الذاتية؛ فمن لا تقوى له لا يملك أن يُراقب نفسه ويستحضر رقابة ربه جلّ في العلا، فيستوي عنده أن يأتي بأيّ عمل أو يتلفظ بأيّ قول أو يتزيّا بأيّ زيّ أو يتصف بأيّ وصف أصاب به قبيحا أو خالط فيه منكر المهم أن يكون أشرب من هواه ووافقه.

ووظيفة التقوى بهذا المعنى تحمل متصفح الإنترنت داخل محيط الأسرة وخارجه على استحضار رقابة الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات السبع والأرضين، الأمر الذي يُعزّز من تعلقهم بالقيم التي أمرت بها الشريعة الإسلامية، ويُحيي فيهم روح الضمير بمفهومه القيمي الشرعي الذي يحجزهم عن سلوك مسالك الغواية والتطلع إلى المضامين الإعلامية المنافية لقيم ديننا الإسلامي الحنيف.

خاتمة:

في خاتمة هذا المقال؛ أسجل هنا جملة من النتائج:

- 1- إن الأسرة نواة المجتمع (الخلية الأساسية للمجتمع)، ومن ثم كان اهتمام القرآن الكريم بما يُصلحها ويُديم انتظامها مؤشرا إيجابيا ومثّنة (علامة) صحية على صلاح المجتمع وعافيته.
- 2- إن الارتقاء بالأسرة وتمتينها أمام تحديات الواقع الراهن يبقى مطلباً قرآنياً، ومن مسالك تحقيقه وتكريسه: تعزيز الحوار الأسري.

3- يحرص القرآن الكريم على تحسين الأداء القيمي للأسرة من خلال تكريس لغة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، وتعزيز دوره في تلقين القيم التي حثّ عليها وحضّ عليها، وهو من المقاصد الشرعية المرعية قرآنياً.

4- من مقاصد الحوار الأسري تكوين شخصية الطفل تكويناً سليماً، يتفاعل مع محيطه ويتأثر إيجابياً مع مجتمعه، من خلال ترقية سلوكياته وتنمية حسّ التعامل عنده مع الناس.

5- تعتبر القيمة الدينية الإيمانية أهم ما يتعيّن تلقينه للأبناء عن طريق الحوار، وهذا قطعاً لا يلغي بقية القيم الأخرى كالقيمة الوطنية والاجتماعية... التي تبقى جميعها مرتبطة بالقيمة الدينية الإيمانية فهي الأساس والأصل والأصل.

6- من المهم الاهتمام بالجانب الأخلاقي عند التعامل مع وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والاحتكاك بها والتعرض لرسائلها والتواصل مع مضامينها؛ لخطورة ما تُوظفه من مضامين وتقدمه من رسائل قد تتنافى وأخلاقنا الإعتقادية والعبادية والمعاملاتية.

7- يتعيّن أخلقة وسائل الإعلام والاتصال من خلال دعم دورها في تعزيز القيم؛ ذلك انطلاقاً من أن هذه الوسائل مطالبة بأن ترعى القيم فيما تُقدّمه، هي حتمية قيمية لا مناص منها.

8- يتعين لزما على الآباء أن يُحسنوا ويُتقنوا مهارات استخدام وسائل الاتصال الحديثة، سيما منها المرتبطة بعالم الإنترنت الافتراضي، هذا إن أرادوا تعزيز الدور الإيجابي لحواراتهم مع أبنائهم، وتعزيز محتواها وأثرها القيمي.

9- أعتقد جازماً أن نظرية الحتمية القيمية للأستاذ الدكتور عبد الرحمن عزّي تجد ضالّتها من خلال ما طرحناه، ويمكننا من خلال ما تقدّم التأكيد على صدق وصحة وواقعية أهدافها ومضامينها في ضرورة اهتمام وسائل الإعلام والاتصال بالجانب القيمي المرعي قرآنًا وسنةً، وأيضاً ضرورة الارتقاء بمحتواها حتى تصبح أكثر قيمة ورسالية، مع ضرورة تكريسها وتفعيلها داخل المحيط الأسري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (2000). الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المسمى: صحيح البخاري، مراجعة وضبط وفهرسة: محمد علي قطب وهشام البخاري، ط 4، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.
2. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط 1، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة.
3. الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد (1984). زاد المسير في علم التفسير، ط 3، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي.
4. الرازي، فخر الدين محمد (1981). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط 1، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
5. سعد، رياض (2007). فن الحوار مع الأبناء، ط 1، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.
6. السعدي، عبد الرحمان بن ناصر (1999). تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، ط 1، الرياض، السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
7. عادل، ابن عوض بن محاد الحضري. (2012). ثقافة الحوار الأسري (مفهومه، أهميته، أنواعه، وسائل تقويته)، ورقة عمل قدمت لندوة مجتمع ظفار التربوي، المديرية العامة للتربية والتعليم، محافظة ظفار، سلطنة عمان، 4 - 6 مارس 2012. منشور على موقع أبناؤنا: www.abnaona.net.
8. ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). تفسير التحرير والتنوير، د ر ط، تونس، الدار التونسية للنشر.
9. عبد المنعم، نعيي (2015). الرقابة الذاتية ودورها في تنمية الموارد البشرية من منظور إسلامي، كتاب أعمال المؤتمر الدولي حول: التكامل

المعرفي لمقاربات تسيير الموارد البشرية في ظلّ التكنولوجيا الحديثة
المنعقد بكلية الإقتصاد والتسيير، جامعة باتنة 1، 8 و 9 ديسمبر 2015.
10. عبد المنعم، نعيم. (2015). أسلوب التدرّج في التلقين التربوي - قراءة
تحليلية في وصايا لقمان لابنه في القرآن، مقال منشور على شبكة
الألوكة، (<http://www.alukah.net/social/0/81286/>)، تاريخ النشر
2015 / 1 / 15.

11. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (2006). الجامع لأحكام القرآن
والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد
المحسن التركي بالاشتراك مع محمد رضوان عرقسوسي وغيث أحمد
الحاج، ط 1، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
12. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (1998). تفسير القرآن العظيم، حققه
وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د/ أبو آلاء كمال علي علي الجمل، ط 1،
مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
13. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (2006).
المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسمى: صحيح مسلم، تشرف بخدمته
والعناية به: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي، ط 1، الرياض، السعودية،
دار طيبة للنشر والتوزيع.

هوامش الدراسة:

1. - د/ عادل بن عوض بن محاد الحضري: ثقافة الحوار الأسري (مفهومه، أهميته، أنواعه، وسائل
تقويته)، ورقة عمل قدمت لندوة مجتمع ظفار التربوي، المديرية العامة للتربية والتعليم، محافظة ظفار،
سلطنة عمان، 4 - 6 مارس 2012، ص 1، منشور على موقع أبناؤنا:
(www.abnaona.net).
2. - يُنظر: د/ عبد المنعم نعيم: أسلوب التدرّج في التلقين التربوي - قراءة تحليلية في وصايا لقمان
لابنه في القرآن، مقال منشور على شبكة الألوكة،
(<http://www.alukah.net/social/0/81286/>)، تاريخ النشر 2015 / 1 / 15.
3. - كلامي لا يعني أن المرابي لا بد أن يبلغ منتهى ما بلغه الأنبياء والصالحون فهذا ما لا يُستطاع لأن
مقام النبوة قد انتهى ببعثة آخر أنبياء الله تعالى (محمد صلى الله عليه وسلم)، وأما مقام الصالحين فهم

- فيه على درجات، لكن أقله أن يحرص الإنسان على إصلاح نفسه قبل أن يسعى في إصلاح غيره وإن كانوا من ولده وأهله. وفي السياق نفسه يتعين لزما أن يكون المرئي على قدر من الوعي بأهمية الحوار الهادئ في تلقين القيم الدينية والتربوية، وأثره في ترسيخها في روع المستهدف بها.
4. - سورة البقرة، الآية 269.
5. - يُنظر: ابن كثير: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د/ أبو آلاء كمال علي علي الجمل، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط 1، 1419 هـ - 1998 م، 3/ 536، ابن جرير الطبري: ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط 1، 1422 هـ - 2001 م، 18/ 546.
6. - يُنظر: ابن كثير: المرجع نفسه، ابن جرير الطبري: المرجع نفسه.
7. - يُنظر: ابن جرير الطبري: المرجع نفسه.
8. - يُنظر: ابن جرير الطبري: المرجع نفسه، 18/ 548.
9. - يُنظر: ابن جرير الطبري: المرجع نفسه، 18/ 529.
10. - عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، الرياض، السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، 1420 هـ - 1999 م، ص 757.
11. - من أراد الوقوف على ما حصل ليوسف عليه السلام من إخوته من ألوان الإذابة لما استفردوا به في البرية، يُراجع مضافاً ذلك من كتب التفسير مثل: ابن جرير الطبري: المرجع السابق، 13/ 29 - 30، ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط 3، 1404 هـ - 1984 م، 4/ 189 - 190، فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1401 هـ - 1981 م، 18/ 100، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالإشتراك مع محمد رضوان عرقسوسي وغيث أحمد الحاج، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1427 هـ - 2006 م، 11/ 276 - 277.
12. - يُنظر: ابن عاشور: ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، د ر ط، 1984، 12/ 76.
13. - لتفصيل أكثر يُراجع: د/ عبد المنعم نعيم: أسلوب التدرّج في التلقين التربوي - قراءة تحليلية في وصايا لقمان لابنه في القرآن، مرجع سابق.
14. - يُنظر: د/ سعد رياض: فن الحوار مع الأبناء، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1428 م - 2007 هـ، ص 9.

15. - بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

16. - عن وظيفة التقوى (الرقابة الذاتية) يُراجع: د/ عبد المنعم نعيم: الرقابة الذاتية ودورها في تنمية الموارد البشرية من منظور إسلامي، كتاب أعمال المؤتمر الدولي حول: التكامل المعرفي لمقاربات تسيير الموارد البشرية في ظلّ التكنولوجيات الحديثة المنعقد بكلية الإقتصاد والتسيير، جامعة باتنة 1، 8 و 9 ديسمبر 2015، ص 115.

17. - صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم الحديث 5143، 3/ 1656، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابير، رقم الحديث 6064، 6065، 4/ 1915 - 1916، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث 2564، 2/ 1193.

18. - صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث 2564، 2/ 1193.